تفسير كلّ آية بجملة

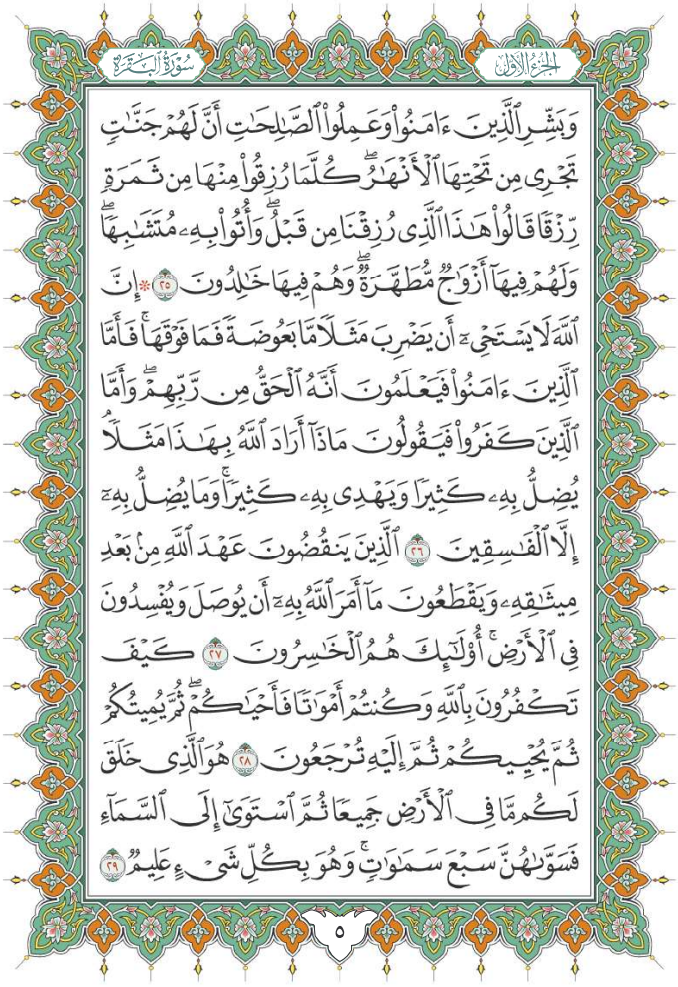

﴿٢٥﴾- وإذا كان هذا عقاب الفجار الجاحدين، فالجنّة مثوى المؤمنين، فأخبر الذين صدَّقوا بالله ورسوله وكتابه، وأذعنوا للحق دون شكّ أو ارتياب، وعملوا الأعمال الصّالحة الطيّبة - أخبرهم بخبر يسرّهم ويشرح صدورهم، وهو أنّ الله أعدّ لهم عنده جنّات مثمرة تتخللها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها، كلّما رزقهم الله وهم في هذه الجنّات - رزقًا من بعض ثمارها قالوا: إنّ هذا يشبه ما رُزقنا من قبل، لأنّ هذه الثمرات التي ينالونها تشابه أفرادها في الصورة والجنس ولكنّها تتمايز في الطعم واللذة، ولهم فيها أيضًا زوجات كاملات الطهارة ليس فيهنّ ما يُعاب. وسيبقون في هذه الجنّة في حياة أبديّة لا يخرجون منها.

﴿٢٦﴾- يضرب الله الأمثال للنّاس لبيان الحقائق العالية، ويضرب بصغائر الأحياء، وكبار الأشياء، وقد عاب ممّن لا يؤمنون ضرب الأمثال بصغائر الأحياء كالذّباب والعنكبوت، فبيّن الله سبحانه أنّه لا يعتريه ما يعتري النّاس من الاستحياء، فلا يمنع أن يصوّر لعباده ما يشاء من أمور بأيّ مثل مهما كان صغيرًا، فيصحّ أن يجعل المثل بعوضة أو ما فوقها، والذين آمنوا يعلمون وجه التّمثيل وأنّ هذا حقّ من الله، والذين كفروا يتلقّونه بالاستنكار ويقولون: ما الذي أراده الله بهذا المثل؟ وأنّ هذا المثل يكون سببًا لإضلال الذين لا يطلبون الحقّ ولا يريدونه، ويكون سببًا لهداية المؤمنين بالحقّ الذي يطلبونه، فلا يُضَلُّ به إلّا المنحرفون المتمرّدون.

﴿٢٧﴾- فالذين لم يلتزموا بعهد الله القويّ الذي أنشأه في نفوسهم بمقتضى الفطرة موثّقًا بالعقل المدرك ومؤيّدًا بالرّسالة ويقطعون ما أمر الله به أن يكون موصولًا كوصل ذوي الأرحام، والتوادّ والتّعارف والتّراحم بين بني الإنسان، ويفسدون في الأرض بسوء المعاملات وبإثارة الفتن وإيقاد الحروب وإفساد العمران، أولئك هم الذين يخسرون بإفسادهم فطرتهم وقطعهم ما بينهم وبين النّاس ما يجب أن يكون من توادّ وتعاطف وتراحم، فيكون لهم الخزي في الدّنيا والعذاب في الآخرة.

﴿٢٨﴾- كيف تكفرون وبأيّ عذر؟ ألا ترون أنّكم كنتم أمواتًا فخلقكم الله ووهبكم الحياة وحسن التّقويم، ثمّ هو الذي يعيدكم أمواتًا عند انتهاء أجلكم، ثمّ يبعثكم أحياء مرّة أخرى للحساب والعقاب، ثمّ إليه - لا إلى غيره - تعودون فيحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم.

﴿٢٩﴾- إنّ الله الذي تجب عبادته وإطاعته هو الذي تفضّل عليكم فخلق لمنفعتكم وفائدتكم كلّ النّعم الموجودة في الأرض، ثمّ توجّهت إرادته مع خلقه الأرض بمنافعها إلى السّماء فجعل منها سبع سموات منتظمات فيها ما ترون وما لا ترون، والله محيط بكلّ شيء علمًا.

الآية 25

جزاء المؤمنين العاملين

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

يعقد القرآن الكريم عادةً مقارنات بين الأشياء المتضادّة -المثاني- فحين ذكر الله تعالى **جزاء الكافرين والعصاة**، أعقب ذلك ببيان **جزاء المؤمنين الأتقياء الأطهار**، ليُظهر الفرق بين الفريقين، ممّا يجعل العبرة والعظة أشدّ تأثيرًا، والامتثال للحقّ أقوى من خلال مقارنة الأحوال. فبعد أن بيّن الله تعالى أنّ **النار أُعدّت لعقاب الفجّار الجاحدين**، ذكر أنّ **الجنّة هي المثوى الدائم للمؤمنين**. فبشّر الذين صدّقوا به وبرسوله وكتابه، وأذعنوا للحقّ دون شكّ أو تردّد، وعملوا الصالحات، ببشارة تُدخل السرور إلى قلوبهم، وهي أنّ الله قد أعدّ لهم جناتٍ مثمرة، تتخللها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها، وكلّما رزقهم الله من ثمارها، قالوا هذا يشبه ما رُزقنا من قبل، لأنّ الثمار تتشابه في صورتها وشكلها، لكنّها تختلف وتتفاوت في طعمها ولذّتها. كما ولهم في هذه الجنّات زوجات طاهرات، خاليات من كلّ عيب أو نقص، وسيحيون فيها **حياة أبديّة لا خروج منها، ولا انقطاع لهذا النعيم**.

المعنى العام

﴿وَبَشِّرِ﴾ يا محمّد، ويا مَن يصلح منه التبشير ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله، ﴿وَعَمِلُوا﴾ ما كُلّفوا به من الأعمال ﴿الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وأنّ من تحت قصورهم، أنهارًا من ماء، وأنهارًا من عسل، وأنهارًا من لبن، وأنهارًا من خمر لذّة للشّاربين. ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ صنفًا، ﴿قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ في دار الدّنيا أو في الجنّة، فإنّ الطّباع تميل إلى المألوف، فالصّفة متّفقة والطّعم مختلف، فالله بديع لا يخلق شيئين متماثلين، فعن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «أَنَّهُ لَا يَنْزِعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ ثَمَرِهَا شَيْئًا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ مَكَانَهَا مِثْلَهَا»[1] بطعم مغاير فلعلّهم إذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك لفرط استغرابهم عند تذوّقها، فأهل الجنّة في رقيّ دائم ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي: ولهم في الجنّة زوجاتٌ من الحور العين مطهّرات من الأقذار والأدناس الحسيّة والمعنوية، وقال مجاهد: مطهَّرة من الحيض والنّفاس، والغائط والبول والنخام، وورد أنّ نساء الدُّنيا المؤمنات يكنّ يوم القيامة أجمل من الحور العين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا، عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[2].

﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أي دائمون، وهذا هو تمام السّعادة، فإنّهم مع هذا النّعيم في مقام أمين، يعيشون مع زوجاتهم في هناءٍ خالد لا يعتريه انقطاع.

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن ثوبان، كتاب: الفتن والملاحم، باب: أما حديث ثوبان، الحديث على شرط البخاريّ ومسلم، حديث رقم: ٨٣٩٠.
(٢) الواقعة: ٣٥-٣٧

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. من أبرز معاني تسمية القرآن **"مثاني"**، وفقًا لأصحّ أقوال العلماء، هو أنّه يذكر الإيمان ثمّ يعقبه بذكر الكفر، أو يذكر حال السعداء ثمّ يتبعه بحال الأشقياء، أو العكس، وهذا يعني ذكر الشيء ومقابله، بينما التشابه هو ذكر الشيء ونظيره.

٢. المؤمن يدخل الجنّة بروحه وجسده، كما أنّ الكافر يدخل النار بروحه وجسده.

٣. الجنّة تحتوي على نعيم روحيّ يفوق الوصف والخيال، وهو الأساس، كما أنّها تضمّ أيضًا نعيمًا جسديًا، يشمل الطعام والشراب، والأزواج المطهّرة والاستمتاع بالمناظر الخلّابة والأصوات الجميلة والروائح العطرة... وما إلى ذلك. ولكنّ نعيم الجنّة ليس مجرّد نسخة محسّنة من نعيم الدنيا، بل هو أعظم بكثير. فالنعيم في الجنّة لا يشبه نعيم الدنيا إلا بالاسم، وهو فوق كلّ تصوّر، قال الله تعالى في الحديث القدسيّ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[1].

٤. الإيمان وحدَه لا يكفي، بل لا بدّ من اقترانه بالطاعة والعمل الصّالح. ونعيم الجنّة لا حدود له، ورزقها لا ينقطع. وقد أراد الله تقريب هذا النعيم لعقول البشر من خلال الآيات بما يتناسب مع فهمهم، لذا أغراهم بما تميل إليه نفوسهم وطبيعتهم من متع ماديّة. وقد عبّر عن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

٥. السّكن، والرّزق، والزّوجة الهنيّة أو الزّوج الهنيّ، والأمن من الفواجع والموت؛ هذه أمنيات الإنسان، واكتمالها ودوامها لا يكون إلا في الجنّة، ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

بعض أوصاف الجنّة

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ٢٥﴾ فالمسلم يعتقد جازمًا بوجود الجنّة في الآخرة، ووصفها تعالى بأنّها تجري من تحتها الأنهار، أي: من تحت أشجارها وغرفها، وقد جاء في الحديث: «أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَجْرِي فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ...»[3] وجاء في الكوثر أنّ حافتَيْهِ قباب اللؤلؤ المجوّف، فعندما عُرِجَ بالنّبيّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ»[4] وذكر في وصف الجنّة: «لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ أَوِ الْيَاقُوتُ وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ...»[5].

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: بدء الخلق، باب، ما جاء في صفة الجنّة، حديث رقم: ٣٢٤٤.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٧١.
(٣) رواه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة عن مسروق، باب: صفة جري أنهارها وأنها سابحة، حديث رقم: ٣١٥.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أنس، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره﴾، حديث رقم: ٤٩٦٤.
(٥) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: وصف الجنة وأهلها، باب: ذكر الأخبار عن وصف بناء الجنة، الحديث صحيح بشواهده، حديث رقم: ٧٣٨٧.

قوله تعالى عن ثمارها: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعني: في اللون والمرأى، وليس يشتبه في الطّعم، وهذا اختيار ابن جرير.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدّنيا، التفاحُ بالتفاح، والرمانُ بالرّمان، قالوا في الجنّة: ﴿هَـٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يعرفونه، وليس هو مثله في الطّعم.

وكذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ عن يحيى بن أبي كثير قال: يؤتى أحدهم بالصِّحْفَة - أي: القَصْعَة - من الشّيء فيأكل منها، ثمّ يؤتى بأخرى فيقول: هذا الذي أوتينا به من قبل، فتقول الملائكة: كُلْ فاللون واحد والطّعم مختلف.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- احرص على الفوز بنعيم الجنّة، وذلك بتقوى الله تعالى والخوف من عدم رضاه، تفز بجنّة معجّلة في الدّنيا فيؤتيك الله من ثمرها بينما لا يحسدك الناس؛ لأنّهم يظنّون أنّ ما تملكه مشابه لما لديهم، رغم أنّه لا يشبهه إلا بالاسم، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[1] أي جنّة معجّلة في الدّنيا وجنّة مؤجّلة في الآخرة لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَـٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

في الأخلاق والآداب

في السّيرة والشّمائل

في السّلوك

الإشارة في قوله جلّ ذكره: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَـٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، تتجدّد النعم في الجنّة باستمرار، فيظنّ أهلها أنّ النعمة التالية ستكون مماثلة لما سبقها، لكنّهم يكتشفون عند تذوّقها أنّها تفوق ما سبقها جمالًا ولذّة. وهذا يشبه حال أهل الحقائق الذين يترقّون في سرائرهم؛ إذ يظنّ أحدهم أنّ ما سيلقاه عند ارتقائه في المقامات مماثل لما مرّ به من قبل، لكنّه يفاجأ بأنّه أعظم ممّا تخيّله، لأنّ الله يفيض عليهم بنعيم من جوهر نعيم الآخرة، كما قال أحدهم:

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وِدَادِكَ مَنْزِلًا ... تَتَحيَّرُ الأَلْبَابُ دُونَ نُزُولِهِ

في الإعجاز العلميّ

(١) سورة الرّحمن، الآية: ٤٦.

في الأدعية والأذكار

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

الآيات من 26 - 27

فائدة ضرب الأمثال للنّاس في القرآن

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

أخرج ابن جرير الطبريّ في تفسيره: عن جماعة من الصّحابة: لمّا ضرب الله هذين المثلين للمنافقين: قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا... أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾[1] الآيات الثّلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]. وقال قتادة: إنّ الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت، قال أهل الضّلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فنزلت.

المعنى العام

بعد أن بيّن الله تعالى صفات وأحوال المؤمنين في أربعِ آيات، والكفّار في آيتين، والمنافقين في ثلاثة عَشَرَ آية، وأثبت الوحدانية له سبحانه وتعالى وأنّه خالق هذا الكون والحجّة أنّ القرآن الكريم كلامه جلّ وعلا وبيّن في الآيات السّابقة ثواب المؤمن الصّالح الذي يصدّق بما ذكره تعالى في القرآن الكريم، فأجرى مقابلة في هذه الآيات بيّن فيها حال المؤمن المصدِّق الذي يعلم أنّ الله حقّ لا يقول غير الحقّ، والمنافق والكافر الذي يجادل في الحقّ بعد ما تبيّن له، ويماري بالبرهان وقد تعيّن له، فيخرج من الموضوع، ويُعرض عن الحجّة لأنّه ضعيف الإيمان ولا يحمل كلام الله محمل الجدّ. فهو لا يصدّق بأنّ الله هو السميع العليم الخبير الحكيم القادر...

والحياء: خُلُق كريم، بل هو سيّد الأخلاق، يمنع صاحبه من ارتكاب ما يعاب به، ولا يمنعه من أن يفعل الخير وأن يأمر بالمعروف أو يقول به. والحيي هو الذي يستحي أن يفعل ما لا يليق، يستحي أن يفعل ما هو مذموم شرعًا وعرفًا،

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٧- ١٩.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٦- ٢٧.